

المشيخ ونصيحته

كان المشيخ جالسا فى المسجد

مستندا على أحد أعمدته الرخامية

وبيده مسبحة طويلة ، حباتها من خشب الصندل

أما لحيته الممشوطة جيدا فكانت فى بياض الثلج

وحول وجهه استدارت هالة من ضوء القمر

اقتربتُ منه بهدوء

وسلمتُ عليه مقبلا يده اليمنى

ربتَ على كتفى بيده اليسرى

وأشار إلى أن أجلس فى مواجهته

كانت فرصة زادرة ..

أن أجده وحده بدون مريديه الذين يحيطون به

وكذلك بدون أصحاب الحاجات ،

الذين يزدحمون دائما حوله

نظر إلى بعيون مستديرة ولامعة

نظرة كلها عطف وشفقة

وأشار إلى أن أجلس فى مواجهته

كان يعنى ذلك أنه يسمح لى بالكلام

أسرعت قائلا :

- أنا مرهق جدا يا مولانا !

انتظر حتى اشرح

قلت :

- لقد تتابع على المصائب ، وانسدت كل الطرق

ولم أعد أطيق رؤية الناس

تصور يا مولانا أنني كثيراً ما أتسلل

إلى أحد الكهوف بجبل المقطم

وأجلس فيه الساعات الطوال ..

وأقسم إنني أشعر هناك ببعض الراحة

لكنني حين أنزل إلى المدينة ، وأستقر في بيتي

يعود كل شيء إلى ما كان عليه !

أنصت الشيخ إلى كل ما قلته بألفاظي المتعثره°

لاحظت أنه لم يفاجأ

لكنه ظل صامتا لفترة طويلة°

ثم أمسك بيدي ، وقال :

- مشكلتك يا بني ليست صعبه°

أسرعت مقاطعا :

- كيف يا مولانا ، وقد كدت أقدم على الانتحار !

انتفض غاضبا ، وقال :

- حاشا لله .. لا تلفظ هذه الكلمة أبدا

واستعد بالله منها ..

أطرقت في الأرض مستغفرا

وبعد أن عاد إلى هـوئه ، قال :

- أنصت إلى جيداً يا بنى

إن ما يمر بك هو مجرد ابتلاء

هل تعرف معنى الـابتلاء ؟

إنه الامتحان الـإلهى الذى يفرز بعض البشر من بعض

ومنه يعلم مستوى إنسانيتهم ومقدار تحملهم

ثم يكافئهم على ذلك :

إن لم يكن فى هذه الدنيا الفانية ،

ففى الآخرة .

وجدتني وهو يذكر كلمة (الآخرة)

أُشرف على فضاء شاسع

تتحرك فيه كائنات لم أشهد مثلها من قبل

وظل الشيخ يتحدث ، وأنا سارج فى ملكوت آخر

ورحت أرى فى العمود الرخامى الذى يستند عليه

طيوراً خضراء ، وزرقاء ، وصفراء ..

تتماوج صعوداً وهبوطاً فى الهواء

حتى أن بعضها كان يحط على كتفى !

وتعجبت كثيراً من اطمئنانها إلى ، وأنسها بى

وتمنيْتُ أن أظل معها طوال الوقت ..

ترك الشيخ يدى ، فانتبهت

سمعته يقول لى :

- اتفقنا يا بنى

افعل ما أوصيتك به

وقم على بركة الله ..

- بماذا أمرنى ؟

لأ أعرف

- وماذا كان حديثه المطويل لى ؟

لأ أذكر

نهضت وأنا أحس بأن شيئاً قد مسّ روحى

ورحت ألمس بيدي كل شيء أمر به

وانظر فى وجوه الناس ، فأراها تبتسم

وحاولت جاهدا أن أفكر فى المصائب التى وقعت لى

فلم أعد أجدها ثقيلة وضائقة كما كانت !

بعد ثلاثة أيام

توجهت إلى المسجد لكي أشكر الشيخ

لم يكن هناك مسجد ، ولما شيخ ..
